بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

إن الحمدَ لله نَحْمَدُه ونستعينُهُ ونستغفِرُهُ ونتُوب إليهِ ، ونعوذُ باللهِ من شُرورِ أنفسِنَا ومن سيّئاتِ أعمالنا .

مَنْ يهدِه الله فلا مُضِلَّ لهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادي لهُ .

وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحدهُ لاشريكَ لهُ ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ . صلَّىٰ اللهُ تعالىٰ عليهِ وآله وسلمَ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾

[آل عمران : ١٠٢]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٧٠-٧١] .

أمَّا بعدُ : فإنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ الله ، وخيرَ الهدي هَدْي محمدٍ صلَّىٰ اللهُ تعالىٰ عليهِ وسلمَ ، وشرَّ الأمورِ مُحدَثاتُها ، وكلَّ مُحدَثةٍ بِدعةٌ ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ ، وكلَّ ضلالةٍ في النار .

نسألُ اللهَ تعالىٰ أن يُحيينا على هَدي كتابهِ وسنةِ رسولهِ صلَّىٰ اللهُ تعالىٰ عليهِ وسلمَ وجميعَ المسلمين .

إنَّ الأمةَ الإسلاميةَ أُمةُ ابتلاءٍ واختبارٍ ، وإنَّ مما ابتُليتْ بهِ قضيةَ التطرفِ

والغُلوِّ التي عصفَتْ زوابعُها في أذهانِ البُسطاءِ من الأُمة وجُهّالها ، والتي افتتنَ بها أهلُ الأهواءِ الذين زاغتْ قلُوبهم عن اتباعِ كتابِ اللهِ تعالى وسُنةِ رسولهِ صلَّىٰ اللهُ تعالىٰ عليهِ وسلمَ ، فكانتِ النتيجةُ أنْ وقعَ الاختلافُ بينَ أهلِ الأهواءِ ، وافترقوا إلى فِرَقٍ مُتنازعةٍ مُتناحرةٍ ، همُّها الوحيدُ إرغامُ خُصُومِها ومُعَارضيها على اعتناقِ آرائها بأيِّ وسيلةٍ كانتْ ، وكان منها إصدارُ أحكامِ التّكفيرِ على مَنْ خالفَ آراءَها كائناً مَنْ كانَ .

وكانَ رائِدُهم « الخوارجُ » الذين انقسموا إلى عشرينَ فرقةٍ ، يجمعُهُمْ جميعاً مذهبٌ واحدٌ هو تكفيرُ أصحابِ الذُّنُوبِ من المسلمينَ ، بل وتكفيرُ مَنْ خالفَ مذهبَهُمْ ، وهكذا استشرتْ هذهِ الفتنة بينَ الأُمةِ ، فتصدى لها الأئمةُ فدحضوا مزاعِمهمْ ، وكشفوا عن شُبهاتِهم ، وأظهروا للأمةِ حقيقتَهُمْ ، فأمِنَتِ الأُمةُ من خطرِهم ، بعدَ أن اتخذتْ وسائلَ الوقايةِ من فتنتهم .

وفي عصرِنا الحديثِ نشأتْ ناشئةٌ في بعض البلادِ الإسلاميةِ تعتنقُ مذهبَ « الخوارج » من جديدٍ ، فوجدنا مَنْ يعتقدُ كُفْرَ من ارتكبَ معصية من المعاصي ، بلْ منهمْ مَنْ كفَّرَ جميعَ المسلمين وإنْ صلُّوا وصامُوا وزكُّوا وحجُّوا ، باعتبارِهم ليسوا من جماعتهم ، وحكمُوا على مجتمعاتِ المسلمين المُعاصرين بأنَّها « مجتمعات جاهلية » وبالتالي حكمُوا على ديارِهم بأنَّها « دارُ كفرٍ » والعياذُ باللهِ تعالى من الضّلالِ والإضلالِ .

وقد انبرى لهذه الفئةِ الباغيةِ على الأُمة ، العلماءُ والفقهاءُ ، فكشفوا عن ضلالِهم ، وحذَّروا الأُمةَ من خطرِ دعوتِهم ، بوسائلَ عِدَّةٍ ، للحيلولةِ دونَ انتشارِ دعوتِهم .

وكانَ مِنْ أبرزِ دعوتهم « الغُلُوُّ » و « التَّطرُّفُ » فلزِمَ بيانُ خطرِ هذينِ الاتجاهينِ على وحدةِ الأمةِ الإسلاميةِ ، وإنْ تعددتْ مذاهبُها الفقهية ، فإنَّ الإسلامَ يجمعُها مِنْ شرقِها إلى غربِها ، ومن شمالِها إلى جنوبِها ، قالَ رسولُ الله صلَّىٰ اللهُ تعالىٰ عليهِ وسلمَ : « مَنْ صلَّىٰ صلاتَنا ، واستقبلَ قِبلتنا ، وأكلَ ذبيحتَنا ، فذلكَ المُسلمُ الذي له ذمةُ اللهِ ـ أي عهدُهُ ـ وذِمةُ رسولهِ ، فلا تُخْفِرُوا اللهَ في ذمتهِ » . [أخرجه البخاري في صحيحه برقم ٣٩١] ، فالإسلامُ يجمعُ

ولا يُفرِّقُ ، فمنْ فرَّق جمْعَها ، فقد أخفرَ الله تعالىٰ في ذمتِهِ ، وخرجَ عن طاعتِهِ .

ولهذا كانَ التحذيرُ من خطرِ الفُرْقةِ والانقسامِ واجباً من واجباتِ الإسلامِ ، يجبُ على المسلمينَ القيامُ بِهِ .

وفي هذا الكتابِ دراسةٌ لجوانبِ الغُلُوِّ والتَّطرفِ الذي يُهدِّدُ وحدةَ هذه الأُمةِ ، ويمسُّ أمنها وسلامتَها .

وهذه الدراسةُ تقومُ على أصلٍ أصيلٍ ، ورُكنٍ متينٍ ، ألا وهو « الرجوعُ إلى كتابِ الله تعالىٰ وإلى سنةِ رسولِهِ صلَّىٰ اللهُ تعالىٰ عليهِ وسلمَ » في كلِّ أمرٍ من أُمورِ الإسلامِ والمسلمين ، فهما الحُكْمُ العدْلُ ، والحَكَمُ الفصْلُ ، في كلِّ خلافٍ أو نزاعٍ نشأَ بين المسلمينَ .

فمنَ الرحمةِ بالأُمةِ تخليصُها من آفاتِ الاختلافِ ، ومن سُمومِ النِّزاعِ ، ومن أحوالِ الانقسامِ ، لتعودَ كما كانتْ خير أمةٍ أُخرجتْ للناسِ .

واللهُ عزَّ وجلَّ قالَ مخاطباً رسولَهُ صلَّىٰ اللهُ تعالىٰ عليهِ وسلمَ : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] ، فكانتْ رسالتُهُ صلَّىٰ اللهُ تعالىٰ عليهِ وسلمَ رسالةَ الرَّحمةِ والمودَّةِ والإخاءِ والتآلفِ والتّحابُبِ ، يقولُ صلَّىٰ اللهُ تعالىٰ عليهِ وسلمَ : « الرَّاحِمونَ يرحمُهُمُ الرَّحمٰنُ ، ارحموا من في الأرضِ يرحمْكُمْ من في السَّماءِ » [أخرجه أبو داود في سننه برقم ٤٩٤١ ، والترمذي برقم ١٩٢٤/ وقال : حسنٌ صحيحٌ] ، وقال صلَّىٰ اللهُ تعالىٰ عليهِ وسلمَ : « الدِّينُ النَّصيحةُ » ثلاثاً ، قُلنا : يارسولَ الله لمنْ؟ قال : « للهِ ولكتابِهِ ولرسولِهِ ، ولأئمةِ المسلمينَ وعامَّتِهم » [أخرجه مسلمٌ في صحيحه برقم ٥٥/٩٥] ، وقالَ صلَّىٰ اللهُ تعالىٰ عليهِ وسلمَ : « المؤمنُ للمؤمنِ كالبُنيانِ ، يشدُّ بعضُهُ بعضاً ، ثم شبَّكَ بينَ أصابعِهِ » . [أخرجه البخاري في صحيحه برقم ٦٠٢٦/ ومسلم في صحيحه برقم ٢٥٨٥] ، وقالَ صلَّىٰ اللهُ تعالىٰ عليهِ وسلمَ : « ترىٰ المؤمنين في تراحُمهم وتوادِّهم وتعاطُفهمْ كمثلِ الجسدِ ، إذا اشتكىٰ منهُ عُضوٌ تداعىٰ لهُ سائرُ الجسدِ بالسَّهرِ والحُمَّىٰ » [أخرجه البخاري في صحيحه برقم ٦٠١١/ ومسلم في صحيحه ٢٥٨٦ واللفظُ له] ، وقالَ صلَّىٰ اللهُ تعالىٰ

عليهِ وسلمَ : « المسلمُ أخو المسلمِ ، لا يظلمُهُ ولا يخذُلُهُ ولا يحقِرُهُ ، التَّقوىٰ هاهُنا ، ويُشيرُ إلى صدرهِ ثلاثَ مراتٍ ، بحسبِ امرىءٍ من الشرِّ أن يحقرَ أخاهُ المسلمَ ، كلُّ المسلمِ على المسلمِ حرامٌ ، دمُهُ ومالُهُ وعِرْضُهُ » . [أخرجه مسلم في صحيحه برقم ٢٥٦٤] .

فأينَ موقعُ أصحابِ الغُلُوِّ والتطرفِ من اتِّباعِ رسولِ الله صلَّىٰ اللهُ تعالىٰ عليهِ وسلمَ في هديهِ القويم؟! وما قيمةُ دعواهم أنَّهم « هم المسلمون » وقدِ انبروا للأُمةِ يحكمُون عليها بالتكفيرِ؟! إنَّهم همُ المارقونَ حقاً .

أخرج ابنُ حِبَّانَ في صحيحه برقم ٨١/ بإسنادٍ حسنٍ عنْ حُذيفة قالَ : قالَ رسولُ الله صلَّىٰ اللهُ تعالىٰ عليهِ وسلمَ : « إنَّ ما أتخوفُ عليكم رجلٌ قرأ القُرآنَ حتى إذا رُئيتْ بهجتُهُ عليهِ وكانَ رِدْئاً للإسلامِ ، غيَّرهُ إلى ما شاءَ اللهُ ، فانسلخَ منه ، ونبذهُ وراءَ ظهرهِ ، وسعى على جارهِ بالسَّيفِ ، ورماهُ بالشِّركِ » قال : قلتُ يا نبيَّ اللهِ! أيُّهُمُا أولى بالشِّرك ، المرميُّ أمِ الرَّامي؟ قالَ : « بلِ الرَّامي » .

فأيُّ خطرٍ يُداهمُ المسلمَ في حياتهِ أكبرُ من خطرِ التكفيرِ ، الذي من ورائهِ سفكُ الدِّماءِ ، وإزهاقُ الأرواحِ؟!

لهذا فقد سعيتُ من خلالِ هذهِ الدراسةِ لعواملِ التطرفِ والغُلوِّ والإرهابِ ، للمشاركةِ في دفعِ الفتنةِ ، وكفِّ الأذى عن هذه الأمةِ ، فأسألُ اللهَ تباركَ وتعالىٰ أن يجعلها دعوةً صادقةً ، وعملاً مُتقبّلاً ، وأن ينفعَ بها عبادَهُ المؤمنين ، وأن يدَّخرَ لي أجرها ليومِ الدِّينِ ، يومَ لا ينفعُ مالٌ ولا بنونَ إلا من أتى اللهَ بقلبٍ سليم .

ربَّنا عليكَ توكلنا ، وإليكَ أنبنا ، وإليكَ المصيرُ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

دمشق ١٥ شعبان / ١٤١٧ هـ .

خادم العلم الشرعي

خالد بن عبد الرحمٰن العك

غفرَ اللهُ تعالىٰ له ولوالديه ولجميع المسلمين

منهج هذه الدراسة

هذه دراسةٌ جادةٌ في مُعالجةِ عواملِ الغُلُوِّ والتطرفِ لدى الجماعاتِ والفِرقِ والأحزابِ المنحرفةِ عن منهجِ النبوةِ في حملِ الدعوةِ الإسلامية ، وذلك على منهجِ كتابِ الله تعالى وسنةِ رسولِهِ صلَّىٰ اللهُ تعالىٰ عليهِ وسلمَ في معالجةِ كلِّ قضيةٍ من قضايا الغُلُوِّ والتَّطرّفِ في واقِعنا المُعاصرِ ، مما رأيتُهُ الأوْلَىٰ في الدّراسةِ والبحثِ والمعالجةِ ، فلم أتعرّضْ لجميعِ القضايا في ذلك ، وإنّما انتقيتُ منها الأشدَّ خطراً ، وذلك في الفُصُولِ التالية :

الفصل الأول :

وبحثتُ فيه حول تعريف الغُلُوِّ والتَّطرّفِ .

ثم عن التّطرفِ والعُنفِ والإرهابِ ، وأنها منهجٌ غيرُ إسلامي .

ثم عن التطرفِ والغُلوِّ في الدِّين ، وأنَّهما بدعةٌ حرَّمها الإسلام .

ثم عن مظاهر الغُلوِّ عندَ أصحابِ التطرفِ ، وأنها إحياءٌ لمذهبِ الخوارج .

ثم عن أثر الغُلوِّ في الدِّين على الاستقامة عليه .

ثم عن سوء فهم الغُلُوِّ والتَّطرّفِ وإطلاقهما على ما ثبت شرعاً .

الفصل الثاني :

وبحثتُ فيه عن جُذورِ التَّطرفِ في حياةِ المسلمين المعاصرين .

ثم عن الجماعاتِ والأحزابِ وقضية وحدةِ المسلمين .

ثم عن الغُلُوِّ في مفهومِ الجماعاتِ المؤدي إلى الطائفية والحزبية .

ثم عن الغُلُوِّ في جعل الحزب أو الجماعة مصدرَ الحقِّ .

ثم عن الغُلُوِّ في قادة الأحزاب والجماعات .

الفصل الثالث :

وبحثتُ فيه عن الغُلُوِّ في القولِ بجاهليةِ المجتمعات المسلمة .

ثم عن بلاد المسلمين ، وأنَّها دارُ إسلامٍ لا دارَ كفرٍ .

ثم عن الخطر العظيم في تكفيرِ المسلمين .

ثم عن التكفير بالمعصية ، وأنَّها بدعة الخوارج .

ثم عن تكفير المعين دون مراعاةٍ للضوابط الشرعية .

ثم عن تكفير من لم يُكفِّرِ الذي يُكفِّرهُ أهلُ التَّطرّفِ .

الفصل الرابع :

وبحثتُ فيه عن المجتمعات المعاصرةِ وحكم انتمائها إلى الإسلامِ وهي في ظلِّ دُولٍ كافرةٍ .

ثم عن هجر المتطرفين للصلاة بجماعة في المساجد .

ثم عن عُزلة المتطرفين للمجتمعات المعاصرة .

ثم عن التَّطرّفِ والغُلُوِّ في سُوءِ فهم الهجرة عن بلاد المسلمين المعاصرين .

ثم عن الغُلُوِّ بتحريم الوظائف الحكومية على المسلمين .

الفصل الخامس :

وبحثت فيه عن تحليل أسباب الغلوّ والتّطرّف في الدين . ثم عن معالجة أسباب الغلوّ والتّطرّف

الفصل السادس :

وبحثت فيه عن الإعداد النّفسي للداعية المسلم . ثم عن الإعداد الخُلقي الاجتماعي للدّاعية المسلم .

الفصل السّابع :

وبحثتُ فيه عن حقوق الإنسان في الإسلام .

وأنَّ الشريعة المطهرة هي الحامية للحقوق .

ثم عن حقوق الفقراء والضعفاء بضمان نفقاتهم من الصدقات والزكاة .

ثم عن حقوق الإنسان في الإسلام ، وأنه منهجٌ عملي في حياةِ المسلمين .

وكانتْ جميعُ هذه الأبحاثِ تدورُ حولَ إثباتِ الحقائقِ بالأدلة القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة على منهج الأئمة ، فللَّهِ الحمدُ والشكرُ على ما أنعمَ علينا من نعمة الإيمانِ والإسلام! .